المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد: 05، العدد: 01 (2021)، ص125-137

تمهيد حول الكتابات الأثرية العربية في المغرب الإسلامي على عصر الدولتين الرستمية والإدريسية

Preface on the Arab epigraphy in the Islamic Maghreb At the era of the Rustumiya and Idrisid states

حليم سرحان

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

Halim.serhane@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/11
تاريخ القبول:
2021/05/28

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الكتابات الأثرية
- ✓ الخط العربي
- ✓ المسكوكات
- ✓ المخطوطات
- ✓ شواهد القبور

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى توجيه عناية الباحثين إلى حقل علمي خصب وغير مطروق في العلوم الإنسانية، ألا وهو الكتابات الأثرية العربية في المغرب الإسلامي خلال عصري الرستميين والأدارسة. ومحاولة إماطة اللثام عن طبيعة هذه الكتابات ومجالات استعمالها، والكشف عما تحمله في ثناياها من معلومات تاريخية وأثرية ما استطعنا إلى ذلك من سبيل. زيادة على تفسيرها تفسيرا تاريخيا. من أجل سد ثغرات وردت في النصوص التاريخية وتصحيح بعض الأخطاء التي اقترفها المستعربون في كتاباتهم من أمثال السويسري ماكس فان برشم مؤسس علم الكتابات العربية نفسه. فما هي يا ترى الطرافة في هذه الكتابات التي نحن بصدد دراستها، وما هو الجديد في توصيفها، وشرح مضمونها؟

Article info

Received:
11/05/2021
Accepted:
28/05/2021

Key words:
- ✓ Archaeological writings
- ✓ Arabic calligraphy
- ✓ coins
- ✓ Manuscripts
- ✓ tombstones

Abstract:

This article aims to direct researchers' attention to a fertile and untouched field of science in the human sciences, namely, the qrabic epigraphy in the Islamic Maghreb during the Rustamid and Idrisid periods. And the attempt to uncover the nature of these writings and the areas of their use, and to reveal the historical and archaeological information that they contain within what we are able to do that. In addition to interpreting it as a historical interpretation. In order to fill gaps in historical texts and correct some of the mistakes made by the Arabists in their writings, such as the Swiss Max Van Barshim, founder of the science of Arabic writing himself. What is the wit in these writings that we are about to study, and what is new in its description and explanation of its content?

مقدمة

تعتبر الكتابات العربية في العصر الإسلامي مشرقا، ومغربا من المصادر الأثرية التي يصعب الطعن في قيمتها أو التشكيك في أصالتها، فهي كما يقول العلامة ابن خلدون من جملة الصنائع التابعة للعمران، زيادة على أنها من خواص الإنسان التي تميزه عن الحيوان[1]. فلا جرم أنها بهذا التوصيف تكون محايدة يجب الاعتماد عليها لأنها بكل بساطة معاصرة، وتسد الفراغ، وتزيل الغموض الذي تتركه عادة المصادر التاريخية دون تعليق أو توضيح. ومن ناحية ثانية تمتاز بأن التواريخ التي تقدمها تكون في غالب الأحيان صحيحة، الشيء الذي يجعل التزييف والتصحيف فيها قليل بل نادر الوقوع، علاوة على أنها تفيد في مراقبة أقوال المؤرخين، وتحليل نصوصهم وتساعد في إثبات صحتها أو الكشف عن أخطائها إن وجدت، كما تمدنا بمعلومات قيمة مستمدة منها[2]. ونظرا لما تكتسيه هذه الكتابات من أهمية بالغة في الدراسات التاريخية والأثرية ودورها الجوهري في إجلاء الغموض عن الأحداث السياسية، وتوضيح الظروف الاقتصادية، وتركيز النظر في المذاهب الدينية التي اكتنفتها في مسارها الطويل. رأينا أنه من الواجب علينا إيزاء هذا الأمر إلقاء الضوء على مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب الإسلامي لا سيما عصري الرستميين والأدارسة والتعرض لها بالدراسة والتحليل بما توفر لنا من كتابات على المسكوكات، والمخطوطات وشواهد القبور ومحاولة الإدلاء بدلونا في هذا البحر الواسع. فكان لزاما إذ ذاك العمل بجد آملين قصد تدارك النقص الفادح البين في هذا المجال العلمي، بأن نسأل أنفسنا **عما حدث في هذه المرحلة التاريخية في المغرب الإسلامي؟ وما ميزها عن غيرها في مجال الكتابات الأثرية العربية؟ وما هي مجالات استخدامها؟ وأين تصل حدود انتشارها على الآثار المتبقية؟** ذلك ما سنجيب عنه حسب ما توفر لدينا من النصوص التاريخية الموثقة، والدلائل والقرائن الأثرية المحفوظة هنا وهناك رغم ندرتها وشرحها فيما يلي:

1. منتخبات تاريخية عن الرستميين

1.1. بنو رستم في التاريخ

قامت قبيلة لماية بنشر المذهب الإباضي انطلاقا من طرابلس الغرب، وجبل نفوسة بليبيا إلى غاية مدينة تيهرت التي أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة (160هـ/777م)[3]. ويذكر ابن الصغير في شأنها قائلا: "**هيئتها تبدلت وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية...وازينت المدينة بقصور مشيدة وأبنية بهيجة وقباب مرتفعة وأسواق مزدوجة ومساجد متعددة بمنارات عالية...**". والنص الذي بين أيدينا يمدنا بمعلومات قيمة عن علو شأن المدينة الجديدة التي ورثت دون شك تأثيرات محلية أخضعت إلى الطابع الإسلامي الذي ظهر في فن العمارة والزخرفة وكان ذلك ناتج عن علاقات هؤلاء الرستميين مع الأمويين بالأندلس من خلال العلاقات السياسية، والاقتصادية التي كان لها أبلغ الأثر في نقل فنون الأندلس وحضارة الأمويين إلى تيهرت[4]. وستنعكس هذه التأثيرات المستمدة من الاحتكاك المباشر مع المشرق العباسي، وكذا مع الأندلس الأموية، وتتجلى في جميع الكتابات العربية بأنواعها. هذا الذي نستشفه من النص التالي رغم شحه واقتضابه: "**لا ترى**

دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين، ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين"[5]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء البصريين، والكوفيين الذين استوطنوا تيهرت، وأقاموا بها استخدموا دون شك الخط الكوفي في جميع كتاباتهم لما وجدوه من هدوء في ظل عدل الأمير ابن رستم، ورحابة صدره في تقبل كل ما له علاقة بالدين الإسلامي ولغته العربية.

2.1. نماذج الكتابات الأثرية

يحسن بنا القول إن أهم ما وصلنا من كتابات عربية ترجع لهذه المرحلة التاريخية هي الفلوس التي نقشت عليها نصوص نفذت بخط كوفي بسيط وردت على النحو التالي:

الوجه:

ضرب

هذا الفلس

بتيهرت

الظهر:

مما أمر

به عبد

الوهاب

وهي على الأرجح تنسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان كما أثبتته المعلومات المنقوشة في ظهر هذه القطعة النقدية، ولعلها ضربت في الفترة الممتدة ما بين(211-171هـ/787-826م)، لأنها خالية من ذكر تاريخ الضرب، واكتفت بمدينتي تلمسان، وتيهرت مثلما هو موضح في: (الصورة رقم: 01). كما تجدر الإشارة إلى أن هناك كتابة أثرية رستمية عثر عليها في خرائب سدراته تحمل كلمة " **بركة** " وهي القرينة الوحيدة حتى يومنا هذا، ولكن هذه القرينة المادية تدفعنا إلى البحث عن بديل أخر نستخلص منه مظاهر الخط والكتابة العربية من خلال المخطوطات الإباضية، والعقود التجارية، وكذا الرسائل، والفتاوى. إلا أنها ليست في متناول الباحث، وبعيدة عن يده كل البعد في تعنت أصحاب الخزائن الذين يمتلكون مثل هذه الوثائق ويحوزونها. هذا الشيء الذي يعيق البحث في مثل هذه المواضيع.

2. مقتطفات تاريخية عن الأدارسة

1.2. الأدارسة في تاريخ المغرب الإسلامي

أما الإمارة الإدريسية فيرجع فضل تأسيسها إلى إدريس بن عبد الله الذي بويع بفاس سنة (172هـ/789م)[6] ، واستقل عن الدولة العباسية، ودخل تلمسان صلحا قادما إليها من قاعدته وليلي من أجل محاربة مغراوة وبني يفرن من الخوارج الزناتيين وبنى مسجدها سنة (174هـ/790م)[7] وصنع منبره الذي قرأ كتابته التأسيسية عبد الرحمان ابن خلدون وذكره صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس جاء فيها: "**بسم الله**

الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر من السنة المذكورة آنفا". إن هذه الكتابة اندثرت معالمها ولم تعد موجودة في الواقع غير أن الراجح أنها كتبت بالخط الكوفي مثل الذي نقش على الدراهم التي ضربت بمدينة وليلي سنة من قبل (173هـ/790م)، وهو الخط الذي كان سائدا يومئذ في المشرق، والمغرب الإسلاميين على حد سواء في جميع مجالات الكتابة العربية تمشيا مع روح هذا العصر.

تعتبر الكتابات الأثرية العربية في المغرب الإسلامي علما مساعدا لعلوم الآثار وهو قائم بذاته يعالج القواعد الضرورية لمعرفة حروف الكلمات وهيئتها ومميزاتها بغية قراءتها وفك ما استغلق منها في النص التاريخي، زيادة على كتابة التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والثقافي، والديني اعتمادا على التوثيق الخاضع لمنهجية البحث العلمي. ويطلق فن دراسة الكتابات الأثرية العربية المنفذة على مواد صلبة مثل الحجر، والجص، والخشب وما إليها مصطلح علم الكتابة العربية. في حين يسمى العلم الخاص بدراسة الكتابات والنقوش الأثرية العربية المنفذة على مواد لينة مثل الورق، والجلد، والرق (بالأبجدية العربية)[8].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات العربية بالمشرق الإسلامي حظيت باهتمام الباحثين حيث ألفت حولها مؤلفات قيمة مثل سجل الكتابات العربية، وأدوات تصلح لتأريخ سجل الكتابات العربية **"corpusinscriptionum arabicarum"** التي أنجزها المستعرب السويسري "**ماكس فان برشم**"، وقد تناول فيه بالدراسة والتحليل كل ما وصلت إليه يده من كتابات تذكارية وشاهدية، في مصر، وفلسطين وغيرها. أما المغرب الإسلامي فبقي مجهولا في هذا المجال لم يلتفت إليه إلا بعض المستشرقين الذين حاولوا فك رموز الخط العربي[9]، وتتبع تطوره على الآثار المعمارية، واللقى الأثرية، والتحف الفنية المنقولة من المواقع الأثرية بطريقة سطحية تفتقر إلى العمق من أمثال جورج مارسيه، وشارل بروسلار في " **الكتابات العربية بتلمسان** " اللذان اهتما بحواضر الجزائر في العصر الوسيط وتحديدا تلمسان، وعني وبوانسو بشأن الكتابات بالقيروان، أما ليفي بروفنسال فانكب هو الأخر على جمع الكتابات العربية بإسبانيا في كتاب من ثلاثة أجزاء. وهي محاولات أقل ما يقال بشأنها إنها لا ترقى في نظرنا لما أنجز في المشرق الإسلامي من دراسات، وأبحاث للاعتبارات سالفة الذكر.

فإذا كانت الكتابة في المغرب الإسلامي لها طابعها الخاص الذي يميزها عن مثيلاتها في المشرق الإسلامي رغم أنها تولدت عنها عبر حركة الفتوح منذ القرن الأول الهجري[10]، والتي استمرت لفترة طويلة من الزمن حتى تمكنت من بث الثقافة العربية في أهل البلاد من البربر الذين اعتنقوا الإسلام، فإنه كان لزاما عليهم إذ ذاك تعلم اللغة والكتابة العربية والاعتناء بها وبقواعدها[11]، وإنهم فعلا قبلوها عن طيب نفس، ودون مشقة تذكر لأنها بكل بساطة لغة الدين الجديد. ولا شك أن منطلق الخط والكتابة العربية في بلاد المغرب كانت من مدينة القيروان التي تأسست سنة (50هـ/670م)[12]، ثم المهدية التي شرع في بنائها المهدي الفاطمي سنة (300هـ/900م) وانتشر منهما إلى بقية الأمصار والمدن التي دخلت تحت راية الدولة الإسلامية الفتية، حتى

أن الخط الكوفي الأقدم في بلاد العرب13، حمله الفاتحون معهم إلى هذه الربوع أصبح مستعملا إلى غاية القرن الرابع الهجري مسايرة المستعربين ثم طبع بالطابع المحلي وصار يعرف بالخط القيرواني الذي عرف طريقه إلى مدن الشرق الجزائري في هذه الفترة المبكرة [14]. ويذكر بعض مؤرخي الخط العربي وعلى رأسهم محمد طاهر الكردي إن أهل المغرب لا يعرفون إلا الخط المغربي.[15]

ويذكر ماكس فان برشم بأن المغرب الأوسط _الجزائر_، وإفريقية _تونس_ قدمت الكثير في مجال الكتابات الأثرية مثل غيرها من دول الإسلام على غرار صقلية، وإسبانيا. ومن هذا المنطلق نسعى بجد آملين أن نرصد بعض من نماذج الكتابات بالتطبيق على المسكوكات، والمصاحف، وشواهد القبور المتاحة خلال عصر الرستميين والأدارسة بالمغرب الإسلامي فيما يلي:

2.2. المسكوكات

بما أن النقود تعتبر من أهم الوثائق الشائعة والهامة التي يستند عليها الباحثون من أجل استنباط الحقائق التاريخية بعيدا عن الألفاظ المنمقة[16]، زيادة على استنتاج كل ما يتعلق بالظاهرة الفنية، والحالة الاقتصادية سواء كان ذلك مرتبطا بالأسماء[17]، أو بالعبارات الدينية، والشعارات المذهبية التي تعد بحق سجلات للألقاب التي تثبت أو تنفي تبعية الأمراء والسلاطين وبلادهم في الولايات بإفريقية، والمغرب للحكومات المركزية في مقر الخلافة الإسلامية بالمشرق. ومن أجل احتواء النقود على معلومات قيمة كانت ولا زالت بمثابة الوثائق الرسمية، والمصادر التي لا يسهل الطعن في قيمتها[18].

ضربت إذا النقود الذهبية، والفضية بإفريقية كما ورد عند جمهرة الباحثين لا سيما في مدينة القيروان، أما السكة النحاسية فربما ضربت هي الأخرى في هذه المدينة، أو في أي مدينة ضرب أخرى واقعة في الأقاليم التي تمتد من برقة شرقا إلى تلمسان، وطنجة غربا التي كانت موالية أو مستقلة عن مقر الخلافة في المشرق الإسلامي[19]. وقد ضربت ابتداء من سنة 98هـ/717م، وأول دينار ذهبي خالص ضرب في إفريقية سنة 102هـ/720م، والدرهم فضي في سنة 103هـ/721م، ثم ظهرت دراهم العصر العباسي سنة 167هـ/784م، وضربت دراهم في السنة الموالية جاء فيها: الخليفة المهدي، مما أمر به هارون بن أمير المؤمنين، بإفريقية سنة ثمان وستين ومئة[20].

وتجدر الإشارة هنا أن دولة الأدارسة أول دولة تخرج عن سلطان الخلافة العباسية في المغرب الإسلامي وذلك عندما تمكن إدريس بن عبد الله من تأسيس أول دولة للعلويين سنة (172هـ/788م)، ويجمع مؤرخو المسكوكات الإسلامية وعلى رأسهم عاطف منصور على أن النظام النقدي الذي اتبعه الأدارسة من بدء هذه المرحلة التاريخية اعتمد على سك الدراهم التي تراوحت أوزانها ما بين 2.34 غ، 2.73غ بدلا عن الوزن الشرعي الذي حدد بمقدار 2.97غ. ويذكر أن هؤلاء ضربوا العملة الذهبية إلا أنها لم تصل إلى أيدي الباحثين حتى اليوم. ولا شك أن الدراهم الإدريسية سكت على طرز الدراهم العباسية المعاصرة لها شكلا ومضمونا، فقد كتبت شهادة التوحيد كاملة في ثلاثة أسطر متتالية بمركز الوجه، يحيط بها هامش ورد فيه ذكر البسملة

ناقصة، ومكان، وتاريخ الضرب. أما ظهر القطعة فحمل المركز الرسالة المحمدية المعروفة "**محمد رسول الله**" في ثلاثة أسطر، أضيف إليها أحيانا صيغة التصلية "**صلى الله عليه وسلم**"، وكان اسم حاكم الأدارسة ينقش في أسفل أو أعلى أما الهامش فذكر فيه " **محمد رسول الله**"، " **أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**"، وأحينا يستعملون الآية الكريمة "**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**"، الآية 80، سورة الإسراء. وكانت تذكر بعض العبارات مثل: "**علي خير الناس بعد النبي كره من كره ورضي من رضي**"[21]. ويذهب الباحث صالح بن قربة مذهب يستند فيه على الأدلة المادية مجسدة في السكة الفضية ويعطينا مثلا عن دراهم إدريس الأول الذي جاءت نصوصها تدعيما لما أشرنا إليه قبل حين، وهي على النحو التالي:

مركز الوجه:

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش:

بسم الله ضرب هذا الدرهم بوليلة سنة ثلث وتسعين ومية.

مركز الظهر:

محمد رسول

الله صلى الله

عليه وسلم

علي

الهامش:

مما أمر به إدريس بن عبد الله جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

والكتابات التي نقشت على هذه المسكوكات نفذت جميعها بالخط الكوفي البسيط حسبما تؤكده الصور المرفقة. **(الصورة رقم: 01)**

وهناك فلس ضرب مدينة تيهرت باسم راشد مولى إدريس بن عبد الله مثل ما ذهب إليه الباحث شفيق بن شقرون، ونصوصه جاءت على النحو التالي: (الصورة رقم:02)

الوجه:

ضرب

هذا الفلس

بتيهرت

الظهر:

مما أمر

به راشد

بن قادم

يظهر أن راشد همش دوره في قيام الإمارة الإدريسية إلا فيما ندر، وقد جاء هذا الفلس ليبين لنا دوره خاصة في فترتي حكم إدريس بن عبد الله وولي عهده إدريس بن إدريس[22]. حيث قام بضرب هذا الفلس في عاصمة الرستميين تيهرت، أفلم يغامر مع مولاه انطلاقا من مكة إلى المغرب عبر مصر متجشم المخاطر، ومقتحم الصعاب من أجل أن يصل صاحبه إلى مكان بعيد عن عيون العباسيين الذين كانوا يترصدونه[23].

ومن المصطلحات، والرموز المستعملة في النصوص المنقوشة على القطع النقدية التي ينبغي الإحاطة بها، ومعرفتها لدراسة مضامين المسكوكات في هذه المرحلة ما يلي:

الوجه: وجه القطعة التي تحمل البسملة "**بسم الله الرحمن الرحيم**"، وتاريخ الضرب أو أحدهما.

القفا: ظهر القطعة النقدية، وهو الوجه الآخر منها التي يذكر عليه الشعارات الملوكية، والألقاب السلطانية، والوظائف.

المركز: ما كتب في وسط القطعة من كلا الجانبين الوجه والقفا[24].

الطوق:

يعني النص، أو الكتابة التي نقشت حول ما كتب في المركز من أمام أو خلف.

3.2. المخطوطات

إن الوراقة بمعناها الواسع أي بما تحويه من مخطوطات _ قطع مادية_[25]، وكل ما كتب باليد ظهرت وازدهرت في العالم الإسلامي على يد مالك بن دينار (ت:130هـ/747م)[26]. وقد استخدم العرب الورق في الكتابة حيث ذكر في هذا الباب أن الكاتب يحي بن يعمر المتوفي في سنة (90هـ/708-709م) كتب على الورق وربما يعتبر من أوائل المسلمين الذين كان لهم فضل استعماله.

عرف الخط العربي طريقه إلى المغرب الإسلامي مع حركة الفتوح كما أشرنا قبل حين، ويبدو حسب المشتغلين بتاريخ الكتابة العربية أنه – الخط – أخذ يتحسن من أوائل المائة الثانية للهجرة، وأن المخطوطات بدأت تزدهر مسايرة لمحمد المنوني منذ أواخر المائة الثالثة الهجرية في عصر الإمام الإدريسي يحي الرابع (292-305هـ/ 904-917م)، بحيث يذكر في هذا الباب أنه كان له عدة نساخين لا يعرف عنهم ولا عن مؤلفاتهم أي شيء، وأن الخط الشائع في هذه الفترة الخط المغربي المطبوع بالطابع الشرقي المحض تأثرا بكتابة الفاتحين حتى أن الإمام إدريس الأول وحاشيته المشرقية كان لهم السبق في الأخذ بهذا النموذج، ثم شرع في التطور إلى الكوفي البسيط، والنسخي المستعملين بالقيروان. وقبل العصر المرابطي لا يعرف أي نوع للخط

النسخي خلا الكوفي الذي بقي منه نموذجان اثنان أحدهما الكتابات الموجودة على نقود الإمارات الإسلامية التي ضربت في المنطقة المغربية في هذه العصور الغامضة[27].

4.2. المصحف الشريف

القرآن كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، اجتمعت حوله الأمة الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين على حد سواء. ففي القرن الأول لم يكن لدى المسلمين، والعرب من كتاب يستأثر باهتمامهم إلا المصحف الشريف[28]، ومن أجل ذلك حرص محمد ﷺ على حفظ النص القرآني وتثبيته، وتسجيله. وقد جمع الصحابي الجليل أبو بكر الصديق القرآن سنة اثنتي عشرة للهجرة بعد ما استشهد العديد من حفظته في موقعة اليمامة في السنة ذاتها. وهذا برأي من الفاروق عمر رضي الله عنه عنه فأمر زيد بن ثابت فجمع القرآن من الرقاع، والعسب، واللخاف، والأقتاب، والجلود...إلخ. وبهذا يكون الصديق أول من جمع المصحف بين دفتين. فلا غرو أن المصحف الشريف هو المجال المعرفي الأكثر حيوية وبيانا لصيرورة الصورة الخطية وأثرها الفني في إنشاء صورة المخطوط وصناعته العلمية والجمالية[29]. والجدير بالذكر أن المصحف كتب بأكثر الخطوط العربية حيث يرجح أن يكون الخطان الحجازيان المكي والمدني هما من أوائل الخطوط التي دونت بها المصاحف المبكرة. ويعد الخط الكوفي أكثر الخطوط شيوعا في كتابة المصحف بل أفضلها على الإطلاق في هذه الفترة التاريخية على الأقل في المشرق. أما في المغرب الإسلامي فإن الخط الكوفي المغربي هو السائد حتى في الأندلس، ولقد تطور بدوره عن الكوفي الأصلي في القيروان. ومن نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بدأ الخط الكوفي يختفي تدريجيا من كتابة المصاحف في المنطقة[30]. فالمصحف الشريف إذا يعد من المخطوطات التي حظيت باهتمام الفنانين حيث انبروا لتجميله، وزخرفته، وتطوير أساليب رسمه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. زيادة على تذهيبه والعناية به أيما عناية. والجدير بالذكر في هذا المقام أن القرآن والخط انتشرا جنبا إلى جنب في القيروان برعاية الفاتحين المسلمين الذين جاؤوا من مختلف الأقطار كما مر بنا سنة (50هـ/670م)، وأخذ الخط المغربي من هذه الفترة المبكرة يتطور ذاتيا من داخل البلاد، ومن مشاركة أبناء المغرب أنفسهم بعيدا عن نشاط الحركة الفنية في المشرق الإسلامي. ويذكر محمد المنوني أن المصاحف القديمة لم تعرف على وجه التحقيق في المغرب الإسلامي، وما عرف منها يرجع إلى أواخر القرن الرابع للهجرة[31].

5.2. الكتابة الشاهدية

يطلق عليها الكتابة الجنائزية لاتصالها الوثيق بالأموات وميدانها الخصب تمثل شواهد القبور بتعبير الباحث صالح بن قربة[32]، ويسميها الباحث التونسي خالد مودود القبرية[33]، وهي تمدنا بمعلومات قيمة تتعلق بتحديد تاريخ وفاة الشخصيات ذات الصيت الذائع، فضلا عن احتوائها على إشارات حول التاريخ المحلي[34]، وتتجلى مقومات نصوصها في النقاط التالية:

_ البسملة، بسم الله الرحمن الرحيم.

_ التعريف بشخص المتوفي ونسبه.

_ بعض الآيات القرآنية.

_ عبارات الدعاء والترحم.

_ تاريخ الوفاة.

ومن الكتابات الجنائزية المبكرة والنادرة في عصر الإمارات، شاهد قبر عبد الرحمن بن حيوة المتوفى بتاريخ 126هـ/746م الذي تم العثور عليه في موقع تهودة الأثري بالقرب من مدينة بسكرة[35]. (الصورة رقم:03) وهو أسطواني الشكل ونصه كما يلي:

س1_ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي

س2_ على محمد النبي بن عدنان والسلم عليه ورحمة

س3_ الله هذا قبر عبد الرحمن بن حيوة بن ذي

س4_ العرف الحضرمي من أهل حمص صلى الله

س5_ عليه ورحمة وصلى من صلى عليه

س6_ وتوفى في سبع عشر من ليلة من جمادى

س7_ الأولى سنة ست وعشرين ومائة

إن ما يميز هذه الكتابة الشاهدية كتابتها بالخط الكوفي البسيط الذي استعمل على نطاق واسع في المشرق، والمغرب على حد سواء طيلة العصرين الأموي، والعباسي وامتداده إلى غاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بإجماع جمهور الباحثين المتخصصين في مجال تطور الخط العربي. ولا شك أن خطها كان يشبه إلى حد ما نقش النمارة في بلاد الشام الذي يشبهه من حيث رسم الحروف وتقويرها واستدارتها.

خاتمة

لا مراء أن الكتابات الأثرية العربية التي ذكرناها قبل حين بشيء من الإيجاز سواء تعلق الأمر بالكتابات المنقوشة على العملة، أو المكتوبة على الورق، أو المنحوتة على الحجر في عصري الرستميين والأدارسة. تعتبر امتدادا تاريخيا، وجغرافيا لمثيلاتها بالمشرق الإسلامي ومستمدة منها عبر حركة الفتوح وتلاقح ثقافات الشعوب الإسلامية التي اعتنقت الإسلام على الرغم من طابعها المحلي الذي ميزها في بعض الجزئيات. والأكيد أن هذا فيه تمكين للخط العربي الكوفي وترسيخ للعقيدة كما يلاحظ من العبارات الموظفة والصيغ التي تحتويها تلك الكتابات على اختلاف شكلها ووظيفتها والمادة التي نفذت عليها والغرض الذي أنشئت من أجله. ولا شك أنها ما زالت بحاجة إلى مزيد العناية والدرس لجمع ما تفرق منها في كتاب جامع حفاظا عليها من الاندثار والزوال وتقديمها للدارسين في حلة قشيبة.

ملاحق:

الصورة رقم01: درهم إدريسي ضرب مدينة تدغة سنة 175هـ/ 791م. عن مجلة هسبيريس.

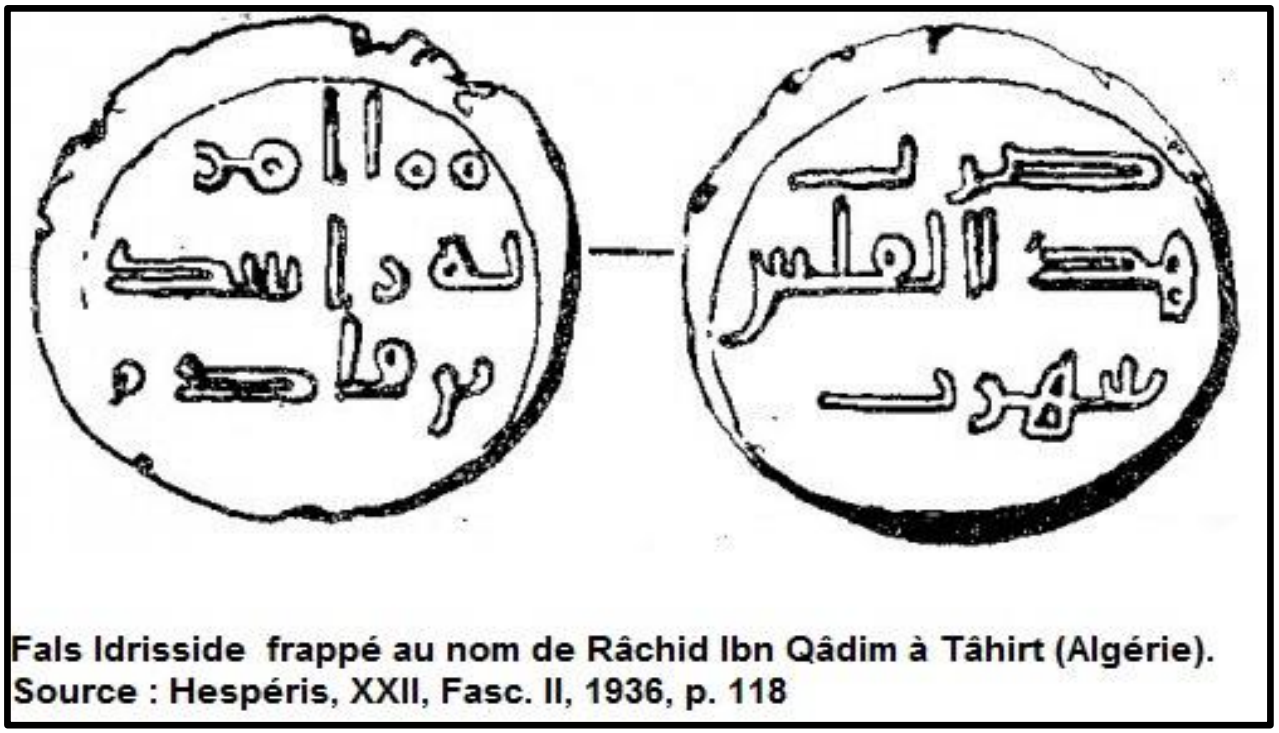

الصورة رقم 02: فلس ضرب مدينة تيهرت باسم راشد بن قادم عن مجلة هسبيريس

الصورة رقم 03: شاهد قبر عبد الرحمن بن حيوة

الهوامش:

1_ عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ضبط المتن ووضع الفهارس والحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص، 524.

2_ الحداد محمد حمزة: **النقوش الآثارية مصدرا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج1، مكتبة زهراء الشرق، 2002، ص، 10.

3 _ البكري: **المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب**، تحقيق: زينب الهكاري، مطبعة الرباط نت، المغرب،2012.، ص،162.

للمزيد ينظر: بحاز إبراهيم بكير: **الدولة الرستمية(296-160هـ/777-909م)، دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، طبعة مزيدة ومنقحة، المطبعة العربية، غرداية، 1994. ص،13؛ وينظر: الحريري محمد عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس)، (160-296هـ)**، ط3، مزيدة ومنقحة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت،1987، ص،73. وينظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،1985، ص،144.

4_ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر،1986، ص، 26وما بعدها.

5_ Tadeusz Lewicki : **«L'état nord africain de Tahert et ses relations avec Le Soudan occidental à la fin du VIII et au IX° siècle »,** cahiers d'études africaines, volume 2 , n° 8 , 1962., p, 514.

6_بن قربة صالح يوسف: **أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته**، دار الهدى، الجزائر،2011، ص،86.

7_ الجزنائي: **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1991، ص،14.

8_ عثمان عثمان إسماعيل: **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج1، عرب المغرب القدماء ودولة الأشراف الأدارسة وعصر أمراء زناتة**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992، ص، 342.

9_ Max van Berchem : « **L'épigraphie Musulmane en Algérie** », revue Africaine, volume 49, A. Jourdan Libraire, Alger, 1905., pp, 160-161.

10_ عمر أفا ومحمد المغراوي: **الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص، 29.

11_ Max Van Berchem : **Corpus inscriptionum arabicarum**, Ernest Leroux éditeur, paris, 1894.,p,1.

12_ ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، دار صادر بيروت، لبنان، 1977، ص، 420-425؛ للمزيد ينظر: لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص، 28-36؛ وينظر: حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص، 178.

13_ محمود عباس حمودة: **دراسات في علم الكتابة العربية**، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، 1992، ص، 65.

14_ معزوز عبد الحق: **الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين (14-8م)**، طبع على نفقة وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 2001، ص، 9؛ ينظر: هوداس: "**محاولة في الخط العربي**"، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، عدد 3، ص ص، 175-180.

15_ عفيف البهنسي: **معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1995. ص،11.، ينظر: نافع توفيق العبود: "**الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلة (328-272هـ)**"، مجلة المورد، المجلد الحادي عشر العدد الأول، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1982، ص ص، 61-72.

16_ عبد الرزاق ناهض: **المسكوكات وكتابة التاريخ**، دار الشؤون الثقافية العامة "أفاق عربية" طباعة نشر، بغداد العراق، 1988، ص،5.

17_ سامح عبد الرحمان فهمي: **طراز المسكوكات الإسلامية**، ج1، السكة الأموية، إربد الأردن، 1994، ص، 13.

18_ عبد الرحمان فهمي: **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص، 5.

19_ عاطف منصور محمد: **موسوعة النقود في العالم الإسلامي الجزء الأول نقود الخلافة الإسلامية**، دار القاهرة للنشر، مصر، 2004، ص، 135.

20_ إبراهيم القاسم رحاحلة: **النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين 132هـ:365هـ/749م:97م**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص، 102.

21_ عاطف منصور محمد: **النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008، ص، 77.

22_ للتوسع حول رحلة إدريس الأول ومولاه راشد ينظر: بن أبي زرع علي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ابن منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص، 17-20.

23_ Chafik Ben chekroun : « **Rasid et Les idrissides : L'histoire « originelle » du Maroc entre marginalisation et glorification** », al qantara, XXXV1, 2014., p,7.

24_ الجبوري كامل سلمان: "**المسكوكات الكوفية**"، مجلة الذخائر، عدد1، بغداد، العراق، 2000، ص، 214.

25_ الطوبي مصطفى: "**المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات**"، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار التاسع والسبعون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014، ص، 11-12.

26_ تمليكشت هجيرة: "**الوراقة الإسلامية**"، أعمال الملتقى الوطني للتراث المخطوط، نشر المجلة المغاربية للمخطوطات، من 30 نوفمبر إلى 1 ديسمبر 2011م، جامعة الجزائر2 بوزريعة، الجزائر، 2013، ص،95.

27_ المنوني محمد: **تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1991، ص، 17.

28_ الحلوجي عبد الستار: "**الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري**"، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار التاسع والسبعون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014.، ص، 68.

29_ إدهام محمد حنش: " **جمالية المخطوط القرآني وتقاليدها الفنية**"، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار التاسع والسبعون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014، ص، 605.

30_ عادل الألوسي: **الخط العربي نشأته وتطوره**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2008، ص ص، 63-64.

31_ المنوني محمد: "**تاريخ المصحف الشريف بالمغرب _ الوراقة المصحفية**"، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار التاسع والسبعون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2014، ص، 97.

32_ بن قربة صالح: "**مقدمة لدراسة الكتابات الأثرية المغربية في العصر الإسلامي**"، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 2، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1992، ص ص، 62-63.

33_ خالد مودود: "**نقائش أغلبية جديدة القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي دراسة تاريخية وأثرية**"، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية الليبية، طرابلس 1-7 أكتوبر، 1995. نشر ضمن كتاب النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997، ص، 80.

34_ Gustave Mercier: **Corpus des inscriptions arabes et Turques de L'Algérie,** Ernest Leroux éditeur, paris, 1902 , p, 3.

35_ معزوز عبد الحق: " **خطوط الكتابات العربية في الجزائر**"، أعمال الملتقى الوطني للتراث المخطوط من 30نوفمبر إلى 1 ديسمبر 2011م، نشر المجلة المغاربية للمخطوطات، عدد03، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013، ص، 116.